

لا هَوَادَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ

للأستاذ محمود محمد شاكر



لا يحل لعربي منذ اليوم أن يرفع يده عن سلاح يده يمهده لقتال عدو قد أحاطت به جيوشه من كل ناحية . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يدع نثرة من نفور المدى إلا سدعا بنفسه أو ولده أو صديقه . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يضع عن عاتقه عبء الكد والكاح التخاذل أو الدعة . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يتواكل ويقول لنفسه : لقد تعبت ، وما يضرنى أن أترك هذا افلان فهو كافي . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقول : غداً أقبل ما حقه أن يفعل اليوم . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يمدح نفسه عن حرب دارة الرحي بيننا وبين اليهود وأشياءهم من أمم الأرض . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يكتم الحق عن أهله أو عن عدوه ، ويقول هذه سياسة وكياسة وترفق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يمالى ، قوماً يكاشفونه بالعداوة والبغضاء وبذالة الأخلاق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقبل من رجال السياسة تأجيل شيء من قضايا العرب ، نهي كل مترابط لا ينفك منها شيء عن شيء . لقد عرف كل عربي وكل مسلم على ظهر هذه الأرض ما آلت

إليه القضية المصرية السودانية في مجلس الأمن ، وعرف كل عربي وكل مسلم ما صارت إليه قضية فلسطين في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة . فهل بقي بعد هذا مجال لناظر حتى يقول : سوف احتال بالسياسة حتى أنال ما هو حق لي ؟

إن بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التي تدير لها الساقية ، قد كشفت عن طواياها بما لا يدع لأحد علة يتمل بها أو يتشبث ، فقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأهم عدو لنا وحرب علينا ، وأنهم يبتغون أن يحطموا هذا الجيل العربي ، وأن يسلطوا على رقابهم أذال اليهود وأوباش الاستعمار ، وأنهم يمتقدون أننا قوم لا نصلح لأن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، أو أننا أمم قومه لم يباغ رشداً ولا يظن بنا بلوغ الرشد . فهذا ترجمة موقف الدول المادية حيال قضية مصر والسودان وحيال قضية فلسطين .

وسر هذه العداوة — ولا تكتم الحق — هو أن أوربة وأمريكا جميعاً لا يزالون يعيشون في أنفسهم إذا ذكر العرب ، في أحقاد صليبية لم تستطع المدنية ولا استطاع العلم ، ولا استطاعت سهولة المواصلات ، ولا استطاعت كثرة الهجرة والرحلة ، أن تنفخها عن قلوبهم ، بل لعلها زادتهم أضغاثاً على أضغان ، ولا تزال أوربة وأمريكا تقول : خطر الإسلام وخطر العرب ، كما كانوا يقولون الخطر الأسفر والخطر الآسيوي . وإذا كان بعض ساستنا الذين لقوا ساسة الأوربيين والأمريكيين قد انخدعوا بظاهر من

تستطع أن تسيفه . ثم شخص بصرها ، وحشرج صدرها ، وأخذها فواق ضيف ، ثم لفتها سكون شامل ا
لا أزال أذكر هذا النظر الروح وأتمله كأنه وقع أمس ا
ولا أزال أذكر أن تياراً من الرعب قد اعتراني ، فمقل يدي —
وعقد لساني ، فخرجت من الحجرة هارباً بنفسى لا أوى على شيء ، ولا أخبر أحداً بشيء . ا

واحسرتنا على قريتي الصغيرة الفقيرة ا لقد جنم على صدرها
موت المئات حتى ختم على أكثر الدور ، وتقل نصف أهلها
من الدور إلى القبور ا

كانت حالنا يومئذ غير حالنا اليوم ؛ فلم يكن هناك مصل يفي ،
ولا علاج يشفي ، ولا حكومة تطارد الوباء وتمصره ، ولا أمة
تتبع النظام الصحي وتنتشره .
بحر صبيح وزيات

الموت . وبقيت (زهرة) الجميلة وحدها تنتظر النهاية المحتومة في
حجرتها الوحشة على حصيرتها الخشنة . وكانت عممتها المعجوز
ترورها الحين بعد الحين لترمقها من بعيد ثم تنصرف . وكنت
أكنُّ لهذه الفتاة نوعاً من الحب البهيم يختلط فيه الإعجاب والحنان
والعطف . وكان بيتنا يشرب الماء مقلي فلم يصب أحد منا بسوء ،
فظننت أن الدواء في هذا الماء ، فحملت منه قلة ثم دخلت بها عليها .
فلما رأته افترت شفتاها الذابلتان عن ابتسامتها الحلوة . وأشارت
بطرفها إلى الماء فجرعها منه جرعة . ثم جلست بجانبها أنو إلى
العينين المائرتين وقد كانتا كميني الرشا ، وإلى الوجنتين الشاحبتين
وقد كانتا في حمرة الورد ، وإلى الجسد الضارع المشفوف وقد
كان في غمضاته الموسن . ثم وضعت القلة مرة أخرى على فيها
الجفاف فرشفت منها رشفة ، ولكن الماء وقف في حلقها فلم

والاقتصادي ، والتي بدأت تعرف أن كل باب من أبواب الحياة قد وقف عليه ديدبان من اليهود أو من الأجانب الطائرين ، ليذودوا العربي عن الانتفاع ببلاده التي هي له ملك متوارث منذ أقدم عصور التاريخ - يذودونه عن الانتفاع بتجارة بلاده ، لأن شياطين التجارة ومرذبتها فئة من هذه اليهود وهذه الأجانب ، ويذودونه عن الانتفاع بمعادن أرضه ، لأن أبالسة الحديد والنار هم أصحاب النتائج في أرضه وبلاده ، ويذودونه عن الانتفاع بقوة شعبه ، لأن خزان المال من اليهود والأجانب يضر بيون المال بالفقر والذل والبؤس ، ولا يدعون لهم متفصلاً ، ولا طريقاً إلى بلوغ المستوى الذي يحق لهم بهجودهم التي يجودون بها ، فتكون لليهودى والأجنبي غنى ومالا وثروة وبجرفة ونظرساً على هذه الأمة العربية ، ونكبة وبلاء واستمارة كأنه جوامع من غليظ الحديد مضروبة في أوتارها الراسخة في جوف الأرض العربية . هكذا هو ، فماذا تفعل هذه الدول ؟

أليس من الحق لسلك بلد عربي أن يسن قانوناً لأهله أو قانوناً لحكومته إذا استطاع - أن يحرم على كل يهودى وأجنبي أن ينشئ شركة إلا إذا كان كل عامل فيها وكل موظف من أهل البلد ، وأن تكون أرباح الشركة لا تزيد على قدر معلوم ، وأن يكون الدخل وفقاً على البلاد التي يستثمر فيها جهوده ، فلا يخرج مالا ولا يجترئه في مزارف بلاد أخرى غير البلاد التي استوطنها ، وزعم أنه جاء ليسدى إليها خيراً بلمه أو فنه أو صناعته أو تجارته ؟ أليس من الحق لسلك بلد عربي إذا هو رأى هذه الأجانب وهذه اليهود تملأ عليه الجو ، وتأتيه مهاجرة من كل مكان هجرة حرة غير مقيدة أن ينظر لنفسه ومصالحه ، ويمرف أن هؤلاء خطر ينفى درؤه واتقاؤه بكل وسيلة ؟ فإذا منعنا الهجرة أو قيدناها فأى تمصب في هذا ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الطائرين هم من حنالة اليهود وحنالة الأجانب ، وأنهم أودل خلق الله أخلاقاً وأقلمهم علماً وأخسهم نفوساً ، فأى تمصب في أن نقول للعالم كله إننا نأبى أن نؤوى هذه الحنالة القذرة في بلادنا وبين أهليها ، وأن نمنعهم أن يتدسسوا إلى حى أعراضنا بنذالاتهم وجورهم وعهرهم وبانطبت التي انطوت عليه دخالهم ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هذه الحنالة الحبيثة ، وهذه الرم الإنسانية تفعل في شوارعنا وطرقنا ما لا تستطيع أن تفعل مثله في بلاد غير بلادنا التي رقت تحت بطش الاستعمار قرناً أو بعض قرن ، فأى تمصب في

القول حين سمعنا أحاديث أولئك المرائين المنافقين من ساسة أوروبية وأمريكا ، وظنوا أن لين القول دليل على صدق العقيدة ، حتى أجروا في أحاديثهم ذكر « عطف أمريكا على العرب » و « عطف بريطانيا على العرب » ، فقد ضلوا ضلالاً مبيناً . إن أوروبية وأمريكا لا تعرف العطف على العرب ، بل هي العدو ، وهي البلاء المصوب علينا ، وإلا فكيف تعطف بريطانيا على العرب وهي التي لا تزال تفعل الأفاعيل في مصر والسودان ؟ وكيف تعطف أمريكا على العرب وهي التي حذلت مصر والسودان في مجلس الأمن ؟ وكيف تعطف بريطانيا وهي التي ورطت الدنيا كلها في مشكلة فلسطين ، ثم تجيء فتطلب من هذه الدنيا أن تحمل لها المشكلة ؟ وكيف تعطف أمريكا وهي التي تمد اليهود بالمال والقوة والسلاح والدعاية ؟ وكيف وهي التي تبيح لشركات النشر والإذاعة والصحافة أن تدلس وتكذب وتخدع في شأن العرب ، ولا يجد منكراً ينكر ، ولا لساناً يدافع ، ولا قلماً يشتمز من هذه الوسائل التي تطفح بالندر والبنى والندالة ؟

إنهم جميعاً يظاهرون علينا اليهود ويظاهرون علينا الاستعمار ، ويفعلون ذلك علانية لا يستخفون ، فقيم تحتال نحن بالدائرة أحياناً خشية أن تثير علينا هؤلاء المظاهرين ، وغافة أن نرغم بالتمصب ؟ قيم نخاف ونحن في ممة هذه الحرب التي تشنها علينا بريطانيا وأمريكا بالاستعمار وباليهود ؟ ولم نخاف أن نتمصب لحرقتنا واليهود يتمصبون لعدوانهم جهاراً ؟ إن العرب قد عاشوا على ظهر هذه الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرناً فكانوا أمة وسطاً لم تظلم ولم تضطهد ، بل نصرت المظلوم وآوت المضطهد ، ورفعت النير عن رقاب الأمم مجوسها ونمازها ويهودها ، حتى جاء أمر الله وذهبت ربحهم وغلبت عليهم الأمم . فتاريخ العرب كله دليل على أن هذا الجيل من الخلق يأنف أن يظلم وأن يضطهد ، ولكنه يأنف أيضاً أن يقبل الظلم والاضطهاد ، فإذا رد الظلم عن نفسه ودفع الاضطهاد عن حماه ، وحى حوزته دون عدد باغ ، أو توقى شراً يوشك أن يتوغل في قلب حياته ، فما يفعل ذلك عن تمصب أو حقد أو جهالة ، بل هو الحق ووسائل الحق !

وإذا كان فيما فعله ، أو فيما يجب أن يفعله ، شيء يؤخذ على أنه صرامة وشدة وحنبلية متممة ، فما اضطرننا إليه فلنناه . وإليك مثلاً هذه الدول العربية التي بدأت تضع ضجيج البعير آذاه المبه الفادح ، من غول الاستعمار الأدبي والسياسي

أيضاً إلى بلادنا ؟ أليس هو الاستعمار ؟ فكيف ندع الصهيونية والاستعمار يجرسان خلال الدبار ونحن في ميعان القتال ؟ وأنا أضرب مثلاً لم أزل أتبعه منذ قامت اللجنة التي وكل إليها كتابة تقرير عن فلسطين ، ومنذ رفعت قضية مصر والسودان إلى مجلس الأمن .

فند ذلك الحين وأنا أنظر وأسمع ، وأقرص الوجوه ، وأتوسم الشمايل ، فإذا هذه اليهود وهذه الأجانب قد خفت أسرارها ، ولانت أخلاقها ، رهدبت غطرستها ، وحلت لنا ألسنتها ، وابتسمت لنا وجوهها . ولم أكن أجهل أن ذلك كله نفاق ورناء ، وخدمة بظنون أنها تمدعنا عن طوايا قلوبهم . فلما كان من أمر القضية المصرية السودانية ما كان ، وظهر من دستور اللجنة المزورة ما ظهر ، إذا هذه الأصوات الخافتة قد صارت نعيقاً ، وإذا الأخلاق اللينة قد صارت عراماً ، وإذا الفطرسة المهذبة قد انقلبت فجوراً متمرداً ، وإذا الألسنة الحلوة قد حارت مرأ زعاقاً ، وإذا الوجوه البتسمة قد شامت بالتجهم وإذا الشمايل المؤدية قد صارت مجرفة وطغياناً ، وإذا هذه الخلائق العاجزة تمتدح على أرضنا تهباً وخيلاء كأنها جنس وحده ونحن عبيده وأذلاؤه ، وإذا نظرات الازدراء وكلمات التحقير تقال على سمع منا ومنظر بلا حياء ولا أدب ولا خلق ، وإذا كلمة « عربي » تتردد مررة أخرى على ألسنة هؤلاء الأندال الجبناء في كل مكان بعد سكوتهم عن النطق بها خوفاً وقرعاً ، أن يكون قد دنا موعد نصر العرب في قضية فلسطين وقضية مصر والسودان هذا كله شيء تبيته أنا ومن أعرف ، بلا زيادة ولا دعوى كما تفعل هذه الجبايات من يهود وشذاذ الآفاق .

إنها الحرب البيرة أيها العرب ، فلا تكن يهود التي ضرب الله عليها النذل والمسكنة والتشرد في جنبات الأرض ، أحمى منكم أنوفاً وأشد منكم حفاظاً ، وأقوى منكم حمية ، وأجراً منكم قلوباً ولا تكن يهود أيها العرب أشد محافظة على باطلهم منكم على حكم واعلموا أيها العرب أن الذين بيننا وبين يهود والذي بيننا وبين الاستعمار دم لا تطير رغوته ولا ينم نأثره ، وقد جدت الحرب بكم فجدوا بأبناء إسماعيل وبا بقية الخنيف إبراهيم ، ولا يهوانكم مال اليهود ، ولا بطش بريطانيا ، ولا مخرفة أمريكا ، فإن الحق لله ، وكلمة الله هي العليا .

محمود محمد شاكر

أن نسن قانوناً يوجب ترحيل هؤلاء الطارئين ، أو يوجب نزع الجنسية المصرية أو العربية أو السورية عن هذه الفئة التي جاءت دخيلة على بيوتنا وديارنا وأخلاقنا ؟

إن من حق البلاد العربية أن تفعل ذلك ولا تبالى بتقدمنتقد ولا هجوم منهجم ، ولا إقذاع مبطل ولا سفاهة مدخول السريرة حيث الطوية . كلا إنه ليس حقاً لها وحسب ، بل هو فرض لا مناص من أدائه والقيام عليه وحياطته كل الحياطة ، إن هذه اليهود وهذه الأجانب هي ذرائع الاستعمار ، وهي أداة البطش التي ساطها الاستعمار على رقابنا ، وهي الخبيثة الرديئة التي تفشى داؤها حتى أوحى القوى وأوهن المزأم ، وأكلنا لحماً طرياً وتركنا عظاماً مخزرة .

وها نحن الآن مقبلون على حرب بيننا وبين اليهود ، وحرب بيننا وبين الاستعمار ، وكلاهما حرب لا هوادة فيها ولا مفر منها ، فكيف يجوز في المقول أن ندع العدو بين ظهرانينا يميث فساداً وخيانة وبجساً ، بل يأخذ من أموالنا ويرد على أموال عدونا ، فيضعفنا ويقويه ، ويهكنا وينميه ، ويوهننا ويضربه ؟ إن من القوانين الدوائية في زمن الحرب أن تضع الدولة يدها على أموال أعدائها جملة واحدة ، تستثمرها في حقها وبحقها لتكون لها قوة وعتاداً ، ومن القوانين الدوائية أن تقبض الدولة على أبناء الدولة المعادية فتأسرهم في المعتقلات حتى تضع الحرب أوزارها ، خشية أن يفجروا في الأرض ويكونوا عيوناً عليها ، وبلاء في داخلها ، و« طابوراً خامساً » في شعبها . فهل شك أحد في ذلك أو استنكره أو بنض إلى درائه فعل ذلك ؟ كلا ! وإذن فكيف يجوز للعرب منذ اليوم ، وقد شرعوا في الجهاد وعزموا على أن يحطموا أغلال الاستعمار ، وأن يقوضوا عرش اليهودية الباغية ، أن يتهاونوا في الضرب على يد هذه التجارة اليهودية في قلب بلادهم ، أو أن يهادنوا هذه الشرذمة الوبيثة التي تبيش بين ظهرانيتهم ، أو أن يبيحوا لأعدوان الاستعمار من شذاذ الأمم والأقايين أن يسرحوا حيث شاءوا من بلادهم ، وأن يستولوا على ما يشاؤون من أموالهم وأرزاقهم ، وأن يدخلوا فينا ليكونوا عيوناً علينا في هذه الحرب التي تدور بيننا وبين يهود ، وبيننا وبين الاستعمار والمستعمرين .

ومن الذي حمل اليهود على الهجرة إلى مصر مثلاً ؟ أليست هي الفكرة الصهيونية ؟ ومن الذي حمل الأجانب على الهجرة